مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 01- جانفي (2024)

تاريخ الاستلام: 2023/09/09 تاريخ القبول: 2024/01/06 تاريخ النشر: 2024/01/21

دور الموجّهات في تلقّي المعرفة وتحقيق المقاصد القرآنيّة

✍ وهيبة خبيل
omhadjer15@gmail.com
مخبر تحليل الخطاب
جامعة مولود معمري، تيزي وزو/ الجزائر

The role of modalizers in receiving knowledge and achieving Qur'anic objectives

✍ KHABIL Wahiba
omhadjer15@gmail.com
Mouloud Mammeri University - Tizi Ouzou - Algeria

ملخص البحث

تضطلع المناظرة القرآنيّة بوظيفة رئيسة هي "التّوجيه"، لتؤسّس بذلك خطابا حجاجيّا في المقام الأوّل، وهذا ما يجعلها تصطبغ بالموجّهات المتنوّعة الراميّة إلى تحقيق التّأثيروالإقناع في الآن نفسه، وتوجيه المتلقّي الوجهة المقصودة، تحقيقا لمقاصد المتكلّم في ظلّ علاقته بما يقول، خاصّة وأنّ التّوجيه القولي في القرآن الكريم يتعلّق بالذّات المرسلة وبالذّات المبلّغة لرسالة الله تعالى الّتي تهدف من خلال خطابها بلوغ يقين معرفيّ بوحدانيّة الله تعالى لدى الذّوات الر افضة للتّوحيد.

كلمات مفتاحية: الموجّهات، تلقّي المعرفة، المقاصد القرآنيّة، التّقويم، التّأثير، الإقناع

ABSTRACT:

The Qur'anic debate performs a major function, which is "modalizers", thus establishing an argumentative discourse in the first place. The saying in the Holy Qur'an relates to the sent and the communicating entity of the message of God Almighty, which aims through its discourse to attain epistemological certainty in the unity of God Almighty among the subjects who reject monotheism .

Keywords: modalizers; knowledge; Quranic purposes; evaluation; influence; persuasion

مقدمة:

يتميّز الخطاب القرآني عن غيره من الخطابات فضلا عن قدسيّته النّاتجة عن مصدره الإلهي بالتلقّي المخصوص له، فالخطابات البشريّة تُتلقّى كمعرفة أو لإنتاج معرفة، ويكون الاختلاف بين المتلقّين واضحا حسب الخلفيّة المعرفيّة لكلّ متلقّ، في حين أنّ الخطاب القرآني يُقرن تلقيّه بالمسؤوليّة أمام الله تعالى، كما يستوجب العمل على تطبيق أوامره والابتعاد عن نواهيه، وتدبّر صوره، فالخطاب القرآني خطاب إقناعيّ بامتياز يضطلع بالتّوجيه وفق منظومة من البراهين والحجج الصّادرة عن الذّات الإلهيّة والمنسوجة في نسق منسجم ومعجز لتبلَّغ للبشر عن طريق الأنبياء والرّسل المكلّفين بحملها، من بينها المناظرات القرآنيّة التي تتعاضد فيها عناصر التّوجيه بمختلف صيغها في ظلّ علاقة المتكلّم بما يقول وعلاقته بالمخاطَب، فمن الممكن أن تبرز ذات المتكلّم بصورتيْن مختلفتيْن بين الحضور والغياب في الآية الواحدة، لتحيل عليها ذات أخرى بما يتناسب وهذه العلاقة، **فما حظّ التّوجيه في مناظرات نرسل الله مع أقوامهم ومع من ادّعى الألوهيّة؟ وما هي أنواعه؟ وفيم تتمثّل أغراضه؟.**

وإذا كان مفهوم التّوجيه مفهوما منطقيّا، فإنّ حقل اللّسانيّات اتّخذ له تعاريف مختلفة، منها أنّ **الموجّهات Les modalisateurs** عند لسانيّات التلفّظ هي تلك «الأساليب التي تشير إلى مدى تبنّي ذات التلفّظ للمضامين الملفوظة، إمّا تبنيّا قويّا...وإمّا تتبنّى موقف الرّفض»[1]، فهي بهذا «حكم على حكم أي أنّه حكم من درجة ثانيّة...وهو ما من شأنه أن يجعل مجال التّوجيه مجالا شاسعا فقولنا **"يعدو سريعا"** قول **موجّه** ذلك أنّ قولنا **"يعدو"** حُكْمٌ هو نفسه محكوم عليه بِحُكْمٍ آخر هو قولنا **"سريعا"** وهذا يعني أنّ كلّ قول عاديّ هو **قول موجّه**»[2]، ولقد قُسّم التّوجيه في «حقل "لسانيّات القول" أقساما مختلفة منها تقسيمه إلى توجيه القول (Modalité d'énonciation) وتوجيه المقول (Modalité l'énoncé)»[3]، وفي هذا التّقسيم تداخل في المضامين والحدود، إلّا أنّ هذه الموجّهات اللّسانيّة تسعى للنّهوض بوظيفتها الأساس وهي توجيه القول لإحداث فعليْ الإقناع والتّأثير في المتلقّي، تبعا لما يرغب المتلّفظ بلوغه من مقاصد.

1. سلطة التّوجيه اليقيني:

تعدّ الموجّهات اليقينيّة العنصر الأساس الذي يمنح صفة الحقيقة للكلام ويعمل على جعله مقنعا في نظر المتلقّي على الرّغم من اصطباغه بالذّاتيّة، حيث يحصل الإقناع والتّأثير على السّامع بفضل هذه "الموجّهات" التي ترسم فحوى القضيّة المعروضة وتوجّهها **يقينا**، فتثبت القضايا المُنكرة وتحمل المستمع على الاقتناع والإذعان لها وترك التردّد والإنكار والظنّ فيها.

وتتمثّل الموجّهات اليقينيّة في مجموعة من العبارات أهمّها: «"الحقّ أنّ"، "الأكيد أنّ"، "اليقين أنّ"، "حقّقت أنّ"»[4]، فضلا عن أدوات التّوكيد والقصر، ذلك أنّ كلّ القضايا التي دخلت عليها وسائل التّوكيد

تفيد بلوغ الحقّ وظهوره وتأكيده، أي تدلّ على معنى «الحقّ كذا»[5]ويكون الغرض منها هو "إحقاق الحقّ ودَفْعُ الباطل" والذي يعدّ الهدف الأساس التي أُسّست من أجله المناظرة عند المسلمين.

تقترن سلطة الدّين بسلطة الله تعالى التي تتجسّد عن طريق الوحي الذي يتلّقاه الأنبياء والرّسل للقيام بالدّعوة والتّبليغ اعتمادا على فعل التّوجيه بالحجج والبراهين الدّالة على وحدانيّة المولى، وقد جاءت مناظرات الرسل مع أقوامهم لتقرّر جملة من قضايا العقيدة الإسلاميّة والمتمثّلة في الإيمان بالله تعالى وتقرير وحدانيّته ومآل المؤمنين والمشركين بالله، وبيان بعض صفاته، ثمّ بيّنت عاقبة المُصرّين على رفض التّوحيد وهي عدم الهداية.

وقد ظهر مركز هذه القوّة لدى موسى عليه السّلام في مرحلة مواجهته لفرعون بعدما كان هذا الأخير حاملا لها، فقد واجه رسول الله مدّعي الربوبيّة «بثلاث قضايا فجّرتها البنية اللّغويّة الدقيقة لقول موسى...وهي:

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رسالة التّوحيد: موسى ممثّلها؛

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البيّنات الدالة عليها؛

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الغاية الثّانيّة من الرّسالة والبيّنات؛»[6]

حيث عرض موسى عليه السّلام دعوته إلى توحيد الله تعالى وهي قضيّة معارضة لما يدعو إليه فرعون ويُجبر شعبه عليه، كما وضعه في المقام البشريّ الذي وجب أن يكون عليه حين قال ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فالله هو ربّ الجميع بما فيهم فرعون، وفي قوله هذا تفعيل لسلطته كرسول من الله يُبلّغ رسالته، وفيه أيضا زحزحة لفرعون من مقام الربوبيّة الذي وضع نفسه فيه دون وجه حقّ، و«لمّا كان التدخّل صريحا من موسى وفيه جرأة على اقتحام العالم الفرعوني لما في حوزته من قوّة كامنة في الصّدق لأنّه حقيقة مرسل من ربّ العالمين؛ وكان مُباغتا ومزعزعا أتى ردّ فعل فرعون مفنّدا القدرة على المجيء بالبيّنة»[7]، قال الله تعالى على لسان موسى ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31)﴾(سورة الشّعراء) .

فيظهر من خلال ردّ فعل فرعون محاولته توجيه السّلطة في الاتّجاه المعاكس حين جمع كيده، قال الله تعالى على لسان موسى ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60)﴾ (سورة طه) حيث خوّلته المكانة التي يحتلّها على اعتباره ملكا من تجميع السّحرة من كلّ صوب وحدب وتسخير ما توصّلوا إليه من سحر للتغلّب على موسى عليه السّلام.

وبهذا، تصير **السّلطة** إحدى **آليات موجّهات الإثبات** في خطاب الإقناع المرتكز على «سلطة الحجّة العلميّة، تحقيقا لمقصديّة معيّنة: إقناع المتلقّي»[8] وعلى المرسَل إليه في معترك هذا الخطاب أن

يعترف بسلطة المتلفّظ؛ فالسّلطة التي يمتلكها المتلفّظ (رسل الله) على متلقي خطابه مرتبطة بالقصد، فرسل الله تدرّجوا في إيراد الحجج في مناظراتهم بُغية الوصول إلى القصد وهو ثبوت الوحدانيّة والرّبوبيّة لله تعالى، ولولا التدرّج في عمليّة التّبليغ لما استوعب عقل الإنسان شيئا.

وفضلا عن ذلك، تصير حجّة السّلطة حجّة موجّهة سلبيّا إذا اقترنت بأفعال وأقوال ذوات الكفر الذين يثبتون وجوب اتّباعهم بتوظيفهم السّلطة توظيفا سلبيّا يخضع للمصالح الخاصّة، وهو الأمر الذي يظهر عند فرعون مع سحرته الذين عجزوا عن غلبة موسى عليه السّلام وإيمانهم بعدما تبيّن لهم الحقّ، حيث قام بتوجيه سلطته وجهة سلبيّة تمثّلت في تهديد السّحرة بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وبذلك صارت السّلطة الفرعونيّة مصدر توجيه سلبيّ تُبين عن ملك متّسِم بالجبروت ورافض للنّزول من هذه الدرجة التي عدّها لوقت طويل درجة عليا إلى درجة أدنى بإيمان السّحرة وغلبة موسى عليه السّلام في المناظرة وزوال صفة الألوهيّة التي نسبها لنفسه عنه.

تظهر حجّة السّلطة كذلك في مناظرة "موسى عليه السّلام مع قومه (اليهود)" وتتجلّى حجّة السّلطة في هذه المناظرة في سعي موسى عليه السّلام لإقناع اليهود بالائتمار بالسّلطة الإلهيّة التي أمرتهم بذبح البقرة، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السّلام ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**... (67)﴾ (سورة البقرة) وقوله ﴿**فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ(68)**﴾ (سورة البقرة) فاستخدام موسى عليه السّلام سلطته كونه رسول الله كانت نابعة من سلطة الله (السّلطة العليا) فهو الذي أمر بذبح البقرة وتطبيق أمره واجب.

2. التّوجيه والسّلطة المنطقيّة

ولا غرو، أن تعدّ الموجّهات اليقينيّة الضّمان لصدق الكلام ولمنحه عناصر الإقناع على الرّغم من اصطباغه بالذّاتيّة، ذلك أنّ الإقناع يحصل لدى المتلقّي فور تزويد القضيّة المطروحة عليه بموجّهات إثبات تثبت القضايا المنكرة وتحمل المستمع على الاقتناع وترد الشكّ في الموضوع، وهذا ما ترمي إليه النّصوص التي يتأسّس موضوعها على الحجج العقليّة المختلفة المنبثقة من النّظر الصّحيح المولّد للعلم والمعرفة.

فإذا تقرّر أنّ النّظر الأحادي يُنتج المعرفة بقدر تعمّقه في مناقشة فكرة ما وتوسّعه فيها، فإنّ النّظر المزدوج أعمق وأوسع لأنّه يُنتج معرفة تفاعل في وضعيّات تواصليّة معيّنة، موجّهة بمقاصد خاصّة تقوم ببلورة المعنى كما أراده المتلفّظ، إذ «يستلزم منه مراعاة كيفيّة التّعبير عن قصده وانتخاب الاستراتيجيّة التي تتكفّل بنقله»[9] ليختار رسل الله عليهم السّلام مسلك التّناظر القائم على التّدافع الكلامي والآخذ بالحجج والبراهين المفضيّة إلى إحقاق الحقّ ودفع الباطل مهما كان شكله أو مصدره.

ويسعى هذا النمط من التّفاعلات الحواريّة إلى ترسيخ البحث المنطقيّ الرامي إلى الأخذ بمبدأ النفع المتعدّي إلى الغير عن طريق التحاور العاقل بالحجج والذي يعمل على تأسيس تواصل تعليميّ يقوم

بتثبيت القضايا في الذّهن بهدف تعديل الرأي وفق ما تمنحه اللّغة المشتركة بين طرفيْ المناظرة من إمكانيّات، كالتّوكيد وأسلوب القصر والشّرط وروابط وعوامل حجاجيّة وغيرها من الوسائل اللّغويّة التي توجّه المناظرة توجيه إثبات في سبيل إحداث عمليتيْ التّأثير والإقناع في المتلقّي.

ولمّا كان كلام القرآن الكريم برمّته كلاما موجّها إثباتيّا يقينيّا كان أسلوب القصر أو الحصر قمّة الإثبات لانبنائه على التّخصيص، ويظهر هذا التّخصيص كموجّه حجاجيّ في قول إبراهيم عليه السّلام جوابا على سؤال النّمرود المضمر (من هو ربّك) ﴿**رَبِّيَ الذي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾، وهو مفيد للقصر عن طريق تعريف المبتدأ وهو(ربيّ) والخبر وهو الاسم الموصول وصلته (الذي يُحْيِي ويُمِيتُ)، و«تعريفهما يفيد القصر، فالمعنى أنّه وحده سبحانه هو الذي يحيي ويميت ولا أحد سواه يفعل ذلك. ومعنى يحيي ينشئ الحياة ويُوجدها، ومعنى يميت يوجد تلك الحقيقة التّي تفقد الجسم معنى الحياة. والتّعبير بالمضارع يفيد معنى الاستمرار الذي يُرى ويُحسّ كلّ يوم، فالمعنى أنّ ربّي وخالقي هو الذي يُحيي النّاس كلّ يوم كما ترى ويُميت منهم كلّ يوم من ترى»[10]، ويتصدّر الجملة الخبريّة في هذا الموضع الاسم الموصول (الذي) ويُؤتَى به عادة للتّخصيص، فهو غير تام يحتاج إلى صلة لإتمام المعنى النّاقص منه، فالمبتدأ "ربّي" اختصّ بهذا الخبر دون غيره، فضلا عن أنّ مقول القول ف ي هذه الحجّة جاء عبارة عن جملة اسميّة، والجملة الاسميّة أثبت في الدلالة عن نظيرتِها الفعليّة، ومنها يستنتج المتلقّي أنّ هاتيْن الصّفتيْن ملازمتان لله تعالى، خاصّتان به.

وغير خاف على أحد أنّ أسلوب القصر من ألوان البلاغة التي تعمل على استمالة القلوب وإقناع العقول، وفضلا عن هذه الطّاقة التي يتمتّع بها فإنّه يعمل على إخراج الملفوظ من بلاغته ليمنحه قوّة استدلاليّة تنتج عنها استلزامات يقينيّة ترسّخ تفرّد الله تعالى بفعليْ الإحياء والإماتة.

فالآية بمُجملها ملفوظ تقريريّ يحوي أفعال إثبات، تكمن قوّته الإنجازيّة في وصف الله تعالى بصفات خاصّة به يعجز عنها البشر، وياء المتكلّم محدّد (Déterminant) يعيّن ربّ إبراهيم عليه السّلام ويقرّ لله تعالى بالربوبيّة ويبرّئ نفسه من فعل النّمرود، وهي بادرة الدّعوة للعدول عمّا كان عليه من ادّعاء الألوهيّة والعودة إلى الله تعالى نادما مُنيبا.

أمّا اشتغال أسلوب القصر في مناظرة نوح عليه السّلام فقد جاء «كاستراتيجيّة لتأكيد الحكم بصورة فعّالة، فهو يزيد من درجة اعتقاد المتكلّم بما يقوله، قال الله تعالى على لسان القوم﴿**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الذينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا...(27)**﴾(سورة هود) ففي هذه الآية حصر القوم البشريّة على سيّدنا نوح عليه السّلام فهو بشر لا ملك كما يعتقدون في صفات الرسول، كما حصروا الرذالة على أتباعه، وبهذين الوصفيْن المعتمدين في أسلوب القصر توجيه للحكم على سيّدنا نوح عليه

السّلام وأتباعه، فمنه تنتفي صفة النبوّة عن سيّدنا نوح عليه السّلام وينتفي الفضل عن أتباعه المؤمنين، حيث نُظر إليهم بنظرة فوقيّة يسودها الغرور.

في حين كان قول سيّدنا نوح ﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**...﴾ أثبتُ في «إثبات مضمون القول وإثبات اعتقاد سيّدنا نوح بتعليق الأجر على الله»[11]، وللأداة "إلّا" توجيه قويّ نحو ربط الأجر بالله تعالى دون غيره.

إنّ أغلب القضايا التي «دخل عليها التّوكيد في القرآن كانت محلّ نزاع بينه وبين خصومه مثل البعث والحشر والثّواب والعقاب والجنّة والنّار ومثل وحدانيّة الله وصدق نبوّة الرّسول»[12]، لذا نجد العبارات اليقينيّة تحفّ التراكيب التي تتناول هذه القضايا، ومن بينها أدوات التّوكيد التي تعمل على تقرير الحقيقة في النّفوس وتنفذ بسرعة إلى العقول.

ونجد النّمرود يُخاصم في وحدانيّة الإله محاولا نفيها عن الله ونسبِها لنفسه، في حين يعرض إبراهيم عليه السّلام يقينا القضايا الدّالة على تفرّد الله تعالى بالألوهيّة والوحدانيّة عبر مجموعة من الموجّهات التي «تُضمر قيما حجاجيّة ترتقي بكلامه إلى درجة الحقّ اليقين، الذي يخرج من رتبة الاعتقاد والإمكان إلى رتبة العلم المكين»[13]، لذلك، اعتمد سيّدنا إبراهيم عليه السّلام على أداة التّوكيد "إنّ" عند إيراد الحجّة الثّانيّة باعتبارها الفاصلة والمُفلجة للخصم، والتّأكيد هنا هو تقرير بقدرة الله تعالى وعجز مدعّي الربوبيّة، لذلك اعتبرت «"إنّ" أوكد من اللّام، ولفظها وثقلها يوحي بذلك، وهي قريبة الشّبه بنون التّوكيد الثّقيلة التي تؤكّد الفعل غير أنّها مسبوقة بالهمزة»[14]، ومن هنا يتجلّى الوزن الحجاجيّ لأدوات التّوجيه في تحريك عمليّة التّوجيه نحو مقصد معيّن، الأمر الذي نوضّحه في الجدول الآتي:

القضيّة	موجّه الإثبات	دلالة الموجّه	القوّة الإنجازيّة للموجّه
وحدانيّة الله تعالى وتسييره لقانون الكون.	إنّ: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**﴾	ثبوت وحدانيّة الله تعالى الذي جعل للكون ناموسا يسير وفقه، وجعل شروق الشّمس من مشرقها بدل مغربها.	تعجيز النّمرود وإظهار خطئه

نلاحظ من خلال هذا الجدول التّوضيحي، أنّ الجملة المعبّرة عن القضيّة والذّات المتكلّمة وُجّهت وجهة حجاجيّة حين انتقل اشتغال أداة التّوكيد "إنّ" من الوظيفة النّحويّة إلى الوظيفة الحجاجيّة، فهي هنا تحمل قيمة الفعل "أؤكّد"، لتصير الآية بهذا التّوظيف ملفوظا تقريريّا من أفعال الإثبات، وهي «الأفعال التي تُلزم المتكلّم بصدق القضيّة المعبّر عنها»[15] فالملفوظ الذي جرى على لسان سيّدنا إبراهيم

عليه السّلام حمل لفظا مؤكّدا لقضيّته قصد تثبيته في ذهن النّمرود من جهة وفي ذهن المستمعين من جهة ثانيّة باعتبارهم المتلقّي المستهدف سواء عاصروا المناظرة أم جاؤوا بعدها ووصلتهم عن طريق التّواتر أو على لسان سيّد الخلق محمّد صلّى الله عليه وسلّم أو عن طرق القرآن الكريم الذي ضمّ حيّزا لخبر النّمرود وصنيعه، وسواء كانوا مؤمنين أم غير ذلك.

وإمعانا في حرص إبراهيم عليه السّلام على تمكين القول في القلوب، نلاحظ أنّ اعتماده توظيف أداة التّوكيد "أنّ" وجّه قوله توجيها مزدوجا تجلّى في جهتين، تتمثّل الأولى في تحقيق فعل الأمر "فأت" هدفه من المناظرة إفحام النّمرود غير القادر على تغيير ناموس الكون بالإتيان بالشّمس من المغرب وتعجيزه، وتأكيد مضمون القول باستخدام أداة التّوكيد التي كرّست فكرة إبراز الذّات الإلهيّة وإضمار الذّات المقابلة الرافضة للتّوحيد، وقد جاء الفعل "فأت" تدعيما للفكرة ذاتها ونافيّا قدرة النّمرود على القيام بالفعل، فتثبتّ القدرة لله الواحد القهّار في ذهن كلّ متلقّ، وبهذا تتمظهر سلطة اللّغة الحجاجيّة التي ألغت الذّات الرافضة للتّوحيد وطمست مظاهرها.

أمّا الجهة الثّانيّة فتتعلّق بتوجيه المتلقّي العام نحو تبنّي فكرة التّوحيد من مؤمن ومنكر مجادل رغم اختلال كفاءة كلّ فئة في درجة التلقّي، فالمؤمن مستجيب لخطابات الله تعالى ومتفاعل معها بالالتزام بالأوامر وتجنّب النّواهي والاعتبار من قصص السّابقين، فـ«المتلقّي المؤمن يتعاقب من زمان إلى آخر، ومن مكان إلى آخر وعمليّة التّفاعل متواصلة عبر العصور»[16]، حيث يمتلك المؤمن عناصر الكفاءة من رغبة في الفعل، وقدرة على الفعل، ومعرفة بالفعل، ووجوب الفعل، فكلّ متلقّ مؤمن يرغب في طاعة الله تعالى بدءا بتوحيده وتعظيمه من خلال صفاته ومنها الألوهيّة والرّبوبيّة والوحدانيّة، ويعرف طريقة القيام بالفعل وهي عبادة الله تعالى بما أمرنا والإخلاص في هذا العمل بإقرار العبوديّة له دون سواه، أمّا معرفة الفعل فتتمثّل في أنّ المتلقّي المؤمن يدرك أنّ طاعة الله تعالى هي التي تُوصل إلى الجنّة وتُبعد عن النّار، لذا وجب عليه القيام بالفعل ليكون ضمن زمرة المؤمنين الفائزين.

غير أنّ النّوع الثّاني من المتلّقين والذي أنكر الوحدانيّة لله تعالى وجادل فيها سيصطدم بهذه المناظرة التي أراد الله تعالى تبليغها لسيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وقبله قوم إبراهيم عليه السّلام والتي تسعى إلى توجيه متلقّيها الجاحدين وجهة مغايرة لما اعتقدوا فترة من الزّمن، بإمداد المناظرة بجملة من الحجج لتنذرهم شرّ فعل هذا الرجل وكلّ من سار على نهجه وتدحض حججه الفاسدة، ولا تترك أيّ مجال للشكّ في عدم أحقيّة النّمرود حين جعل نفسه إلها وهو إنسان ككلّ البشر، وتلعب فقدان كفاءة هذا النّوع من المتلقّين للاستجابة الفوريّة دورا رئيسا في عمليّة التّوجيه الإيجابي من إنكار الذّات الإلهيّة إلى الشكّ فيما يقوله النّمرود، وصولا إلى إيمان فئة وتغيّر وجهة نظرها وبقاء أخرى على حالها.

3. الشكّ موجّها تقريبيّا

يرتبط هذا النّوع من التّوجيه بجملة من الألفاظ نحو «"يبدو أنّ" و"كأنّ" و"لعلّ" و"قليل" و"بعض" وغيرها إذ تجعل الملفوظ ذا مسحة ذاتيّة من خلال الإعلان عن حضور صاحبه فيه حضورا بارزا للعيان، تكسبه صبغة موضوعيّة»[17] وهذا ما يظهر في المناظرة من خلال العبارة التّاليّة ﴿**إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ [أَنَا] أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾،فباستخدام النّمرود لضمير المتكلّم "أنا" أعلن عن حضوره في الخطاب وأدخل الشكّ في نفس المتلقّي (نقصد بالمتلقّي في هذا الموضع غير المؤمنين حقّا وأتباع النّمرود) من قدرته على الإحياء والإماتة، وقد أراد بهذا القول إقناع المستمع بهذه القضيّة وإعطاء ملفوظه بعدا موضوعيّا يبعث العقول الضّعيفة على التّصديق بما يقول، وهذا مرتهن بمقام القول، فالنّمرود ملك قومه وصاحب سلطة سياسيّة تحمل الكثير على طاعته وعدم الشكّ في قدرته على القيام بالفعلين السّابقين.

ويندرج قول النّمرود ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾ ضمن فعل الكلام الإنجازي من **أفعال التّنفيذ** فالفكرة التي تصل إلى ذهن السّامع هي قدرة المتكلّم على تنفيذ الفعلين، والأفعال التّنفيذيّة هي تلك الأفعال «المحمّلة بقرارات في كيفيّة التصرّف»[18] وإنجاز الفعل بجرأة فيها تحدّ لذات الله تعالى التي خلقته.

ومن اللّافت للانتباه أنّ الاسم الموصول (الذي) قد سقط من الإسناد (على أساس الإضمار) في ردّ النّمرود على إبراهيم عليه السّلام، فضلا عن أنّ الخبر في هذه الجملة جاء جملة فعليّة لا تحمل من قوّة الإثبات ما تحمله الجملة الاسميّة التي اعتمد عليها رسول الله إبراهيم، ليسقط الاختصاص في الإحياء والإماتة عن النّمرود بسقوط الاسم الموصول ويسقط بذلك أيّ شريك لله في الفعلين من البشر ممّن قد يدّعون ذلك، كما زعم النّمرود مشاركة ربّ إبراهيم عليه السّلام في الفعل نفسه.

في حين، وجّه قوم نوح عليه السّلام حجاجهم توجيها سلبيّا معتمدين في ذلك على موجّهات الشكّ في قولهم ﴿**...وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)**﴾ **(سورة هود)**، فنلاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الحرف "بل" الذي سبق فعل الشكّ أو الظنّ **(نظنّكم)**قد أدّى نوعا من التّوجيه المزدوج، حين نفى النبوّة عن نوح عليه السّلام من جهة، وفي المقابل أراد إثبات نفي النبوّة باتّهامه بالكذب والتّشكيك في رسالته ودعوته.

ولقد عملت الوظيفة التّوجيهيّة للنّصّ المُناظريّ بإهمال ذكر اسم الفاعل لأنّ المتلقّي يقتفي ما اختصّ به فاعل الفعل فيجتنبه إن كان قبيحا ويتّبعه إن كان حسنا فلم يكن لورود اسمه أهميّة تُذكر.

4. التّوجيه الأخلاقي

تزخر الخطابات عامّة بألفاظ تقويميّة ترتكز على البعد الأخلاقيّ، بحكم أنّها تُلقي حكما قيميّا على الأشياء وهو ما تمثّله الثّنائيّة (حسن/قبيح) في أغلب الأحيان، فالبعد الأخلاقيّ يُرسي دعائمه على التّدرّج

الحاصل في شحنة الحُسْن أو القُبح، فيوجد الحسن والأحسن والجيّد والممتاز كما يوجد القبيح والأقبح والشّنيع؛ فضلا عن تمتّع الصّفات بالطّابع التّقويميّ نحو «**صفات الفاعل والمفعول والمبالغة والتّفضيل والصّفة المشبّهة**، مع العلم أنّ هذه **الصّفات ترد كثيرا نائبة عن الموصوفين بها فهي أسماء صفات**»[19]، وهي بهذا تحمل شحنات ذاتيّة بوجه ما.

ولقد وردت في مناظرات الرسل نوح وإبراهيم وموسى عليهم السّلام حجج تقويميّة تراوحت بين **التّقويم بالأفعال وبين التّقويم بالصّفات**، حيث عرّفت سورة "مريم" إبراهيم عليه السّلام بالصدّيق النبيّ، قال الله تعالى ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾(مريم، 41) فالصّفتان اللّتان خصّ بهما الله تعالى سيّدنا إبراهيم عليه السّلامفي سورة مريم تحمل تقويما أخلاقيّا يتصدّر تقويمات أخلاقيّة أخرى تمتّع بها سيّدنا إبراهيم عليه السّلام وَسمت دعوته لأبيه ثمّ لقومه فـ«الصدّيق صيغة مبالغة في الاتّصاف»[20] بصفة الصّدق الأخلاقيّة، والصدّيق هو بلوغ منتهى الأمر من هذه الصّفة، ففي هذا التّقويم بعد حجاجيّ يهدف إلى إدراك حقيقة الرّسل الذين أرسلهم الله تعالى لنشر رسالته وتعليم الخُلق الحسن من القبيح.

وقد قسّمت "**أوروكيوني Orecchioni**" ضروب الكلام واختزلتها من حيث موضوعيتها وذاتيّتها، وجعلتها أصنافا، نصنّف ضروبها في الشّكل التّالي[21]:

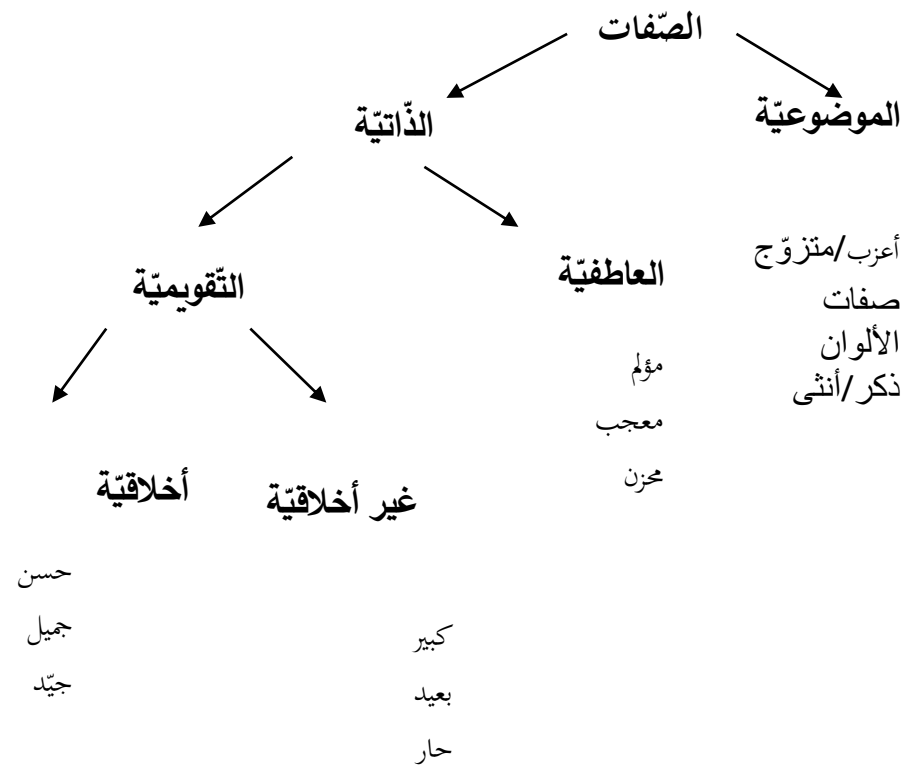

إنّ هذا التّقسيم الذي أوردته **أوروكيوني** لا يمكنه احتواء المفاهيم القرآنيّة لأنّه جهد بشريّ نحاول به مقاربة مناظرة قرآنيّة، مُعجَزة بِبَيانها، ولكن حَسْبُنا أنّه قد يضيء بعض العناصر ولو إضاءة طفيفة ليتسنّى دراستها تداوليّا في جانب من الجوانب، فالقرآن الكريم مدوّنة تزخر بالكلمات ذات الطّابع التّقويميّ التي تتراوح بين الإيجابيّ والسّلبيّ نحو: المؤمنون، الكافرون، الضّالون المهتدون، الظّالمون....إلخ، وهي كلمات تفيد حكما تقويميّا يُرسي بواسطتها بُعدا حجاجيّا هاما يوجّه دفّه الكلام نحو التّأثير والإقناع.

تزخر النّصوص عامّة والنّصوص القرآنيّة خاصّة بألفاظ تقويميّة أخلاقيّة تقاس بمقياس "الحسن"، وغير أخلاقيّة والتي تقاس بمقياس "القبح" تستند إلى وجهة نظر المقوِّم وأنظمته التّقويميّة والأخلاقيّة فتقتضي بذلك حكما تقويميّا إيجابيّا أم سلبيّا ويدعم ذلك ارتباطاتها بالسّياقات والمقاصد.

ومن ثَمَّ، فهي تتسّم بذاتيّة مزدوجة تُظهر حكم المقوّم الذي يتخّذ موقفا وحكما تقويميّا من خلال «ثنائيّة (حسن/قبيح) حيث تتنزّل في محور التّقويم الأخلاقي، وثنائيّة (صحيح/خطأ) وتتنزّل في محور التّوجيه»[22]، ولهذا يبني البعد الأخلاقي دعائمه على التدرّج الحاصل في شحنة الحسن أو القبح أم شحنة الصّحيح أو الخطأ، فيوجد الحسن والأحسن والجيّد والممتاز، كما يوجد القبيح والأقبح والشّنيع، لكنّ الأمر مخالف مع الثّنائيّة الثّانيّة التي تلزم الحكم بأحد الأمريْن فإمّا الصّواب وإمّا الخطأ.

ويختلف استعمال التّقويمات الأخلاقيّة باختلاف «المتكلّم حيث تعكس هذه الصّفات كفاءاته الإيديولوجيّة Compétences idéologiques، وباعتبار أنّها تظهر المتكلّم اتّخذ موقفا...ومن ثمّ يمكن أن نعتبر هذا النّوع مشحون بدرجة أكبر من الذّاتيّة...فيمكن أن نحدّد بسهولة معايير الكبر أو الصّغر (الأحجام) أو البرودة أو الحرارة أو الغلاء... في حين يصعب تحديد معايير وصف الجميل، لذلك فإنّ الصّفات التّقويميّة الأخلاقيّة ملغاة من الملفوظات التي تدّعي الموضوعيّة»[23]، فالموقف الذي يتّخذه المتكلّم يكون في صالح الشيْء الموصوف أو ضدّه إذا كان لا يتوافق مع المبادئ الثّابتة التي ينتمي إليها المتكلّم والمتلقّي وهي في هذا المقام تنضوي ضمن مبدأيْ: الإيمان ورفض التّوحيد.

تجلّى التّقويم بالصّفات في مناظرة نوح عليه السّلام مع قومه في قول الله تعالى ﴿**أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26)**﴾ (سورة هود)، حيث جاء في هذه الآية الكريمة وصف "العذاب" بصفة صفات تقويميّة سلبيّة وهي: ﴿**أَلِيمٍ**﴾ ممّا يبيّن ويؤكّد شدّة العذاب الذي سيلاقيه المشركون، فهو فضلا عن أنّه عذاب فهو أليم وليس خفيفا.

كما تراصّت صفات: الضّلال، الكذب، الجهل، الظّلم، في هذه المناظرة والدالة على صفات تقويميّة سلبيّة قيّم بها قوم نوح عليه السّلام نبيّهم، ممّا جعله يتبرّأ من أفعالهم القبيحة، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السّلام ﴿**قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35)**﴾ (سورة هود)،

كما نحا الخطاب إلى تعزيز للتّقييم السلبيّ لصفات العذاب الذي ينتظر قومه المكذّبين، والتي تظهر في الآيات التّاليّة:

قال الله تعالى﴿إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(59) (سورة الأعراف).

وقال﴿اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26)﴾(سورة هود)

ثمّ قال ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيحلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39)﴾ (سورة هود)

نلاحظ من خلال هذه الآيات الكريمة تدرّج وصف العذاب الذي أعدّه الله لرافضي الإيمان برسالة رسوله نوح عليه السّلام، فمن الوصف العام لعذاب يوم القيامة العظيم، إلى وصف نوع العذاب وشدّته، وصولا إلى توصيف زمان العذاب الذي يطال الكافرين وهو عذاب دائم مقيم يصيب من وقع فيه بالخزي ممّا فعلوا من تكذيب وشرك بالله.

أمّا مناظرة إبراهيم عليه السّلام مع النّمرود فلقد تدرّج التّقويم بالصّفات فيها بدءا من جملتها الأولى وهي ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ...(258)﴾ (سورة البقرة) فالحرف "ألم" دال على التّعجيب من أمر النّمرود الذي آتاه الله تعالى مِنَنًا لا تعدّ ولا تُحصى كما ذكرنا سابقا، فرغم هذه المِنن التي رزقه الله إيّاها تجاوز واعتدى وكذّب ونصّب نفسه إلاها يُعبد والمُلك صفة من صفات الله تعالى فملكه لا يعدّ ولا يُحصى، ولا يزول أو ينقص أبدا، وهو حقيقيّ لا ينازعه فيه أحد، أمّا مُلك البشر فقليل جدا، يمكن عدّه بيسر وينقص مقداره بقدر ما يُعطي صاحبه منه، وهو صوريّ ومؤقّت يرجع إلى الله تعالى في نهاية الأمر فينزعه عمّن يشاء ويُبقيه لمن يشاء، ليقدّم إبراهيم عليه السّلام حجّة الإحياء والإماتة كمحاولة تقويميّة أولى لعدوله عن كفره غير أنّه أبى، لتليها الحجّة التّقويميّة الثّانيّة والتي اتّسمت بالتّحدّي في الإيتيان بالشّمس من المشرق عسى أن يدرك فضاعة ادّعائه فيحيد عنه، لكنّه واصل في غيّه ليصل التّقويم السّلبي إلى أعلى مستوياته حين وصفته الآية الكريمة بالكافر والظّالم.

خُتمت المناظرة بحوصلة الحجّة التي ألجمت الخصم وأخرسته، قال الله تعالى ﴿واللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِين﴾ وهي «تذييل أي حوصلة الحجّة على قوله :﴿اللهُ وَلِيُّ الذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِوَالذينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِإِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الآية 257 من سورة البقرة)، وإنّما انتفى هدي الله الظّالمين لأنّ الظّلم حائل بين صاحبه وبين التّنازل إلى التأمّل من الحجج وإعمال النّظر فيما فيه النّفع، إذ الذّهن في شاغل عن ذلك بزهوه وغروره»[24] وتعاليه وتكبّره على خالقه، فمن وُصف بالظّلم في القرآن الكريم يُقوَّم مباشرة تقويما سلبيّا، ويعمل المؤمنون على أخذ العبرة من قصّته واجتناب كلّ أفعاله أو ما يشبهها.

وقدجاءالتّركيب في خاتمة الآية على شكل ملفوظ تقريريّ صريح ذو طابع تقويميّ مؤلّف من (لا يهدي- الظّالمين) فاللّفظان وحدات لغويّة تقويميّة جيء بها لإبراز مآل من لا يؤمن بالله تعالى ويتحدّى رسله بعد أن بلغته الرّسالة، وقد قام هذا الملفوظ «مقام جواب الشّرط المحذوف، قوّته الإلزاميّة تكمن في التّهديد»[25]، فصفة "الظّالمين" التي جاءت في الآية الكريمة تعكس تجلّي الذّات الرافضة للتّوحيد من خلال هذه الصّفة المشحونة بتقويم أخلاقيّ سلبيّ، انعكست آثاره في نفي الله تعالى الهداية عنهم بما شغلوا أنفسهم وكرّسوا أعمالهم في الحياة الدّنيا فسُجّلت هذه الصّفة عليهم وهذا التّسجيل فيه توجيه نحو تربية المهابة من الخالق، وقد عبّر عنه لفظ الجلالة "الله" وأثبته.

ويتميّز هذا النّوع من الصّفات بالتدّرج في القول، إذ يمكن أن نقول«بأنّ الشّارع واسع إلى حدّ ما، إلى القول بأنّه واسع جدّا، إلى القول أنّه أوسع من المنزل، كما أنّها يمكن أن تستخدم في صيغ تعجبيّة»[26] لتتلوّن بصبغة أخلاقيّة أو عاطفيّة حسب ما يستدعيه سياق القول، ويتحدّد استعمالها من خلال مقياسيْن:

- مقياس يتعلّق بالشّيء الموصوف.
- ومقياس خاص بالمتكلّم نفسه[27].

كان لاستعمال الصّفة التّقويميّة في هذه الحالة ارتباط أساس بالفكرة التي يكوّنها المتكلّم من خلال مقياس التّقويم، وهو في هذه الآية يستند إلى صفتيْ: الكفر/الإيمان، المنضويتان تحت ثنائيّة التّوحيد/الشّرك.

يحمل الوصف السّابق للفئة الرافضة للتوحيد"الظّالمين" تقويما أخلاقيّا يتنوّع بين الصّريح والضّمنيّ فمن اتّصف بها: ظلم نفسه، وارتكب إثما عظيما، وهو في ضلال بعيد...، فهذه الأفعال وغيرها المندرجة ضمن قاموس "الظّلم" تحمل شحنة تقويميّة ترتبط أساسا بالعذاب المستحق لهذه الفئة وهو "النّار"، منه فالقرآن الكريم يحوي ملفوظات تُدرج ضمن فئة ما هو«ضمنيّ ذو طبيعة أخلاقيّة محضة ويكون موازيا للملفوظ المصرّح به»[28] ، والحديث عن "عدم هداية الله للقوم الظّالمين" يفضي إلى أنّ الهداية تستلزم التّقوى والصّلاح والامتثال لأوامر الله تعالى...فـ « هذا الفضاء الضّمني الذي يظهر فيه مَعْنَيَا الاستحسان والاستقباح يمثّل بضمنيّته تلك، البعد الحجاجي الذي للألفاظ ذات أحكام القيمة الأخلاقيّة في القرآن»[29]، وللفعل "لا يهدي" دلالته وشحنته التّقويميّة في الآية وهو يحمل قيمة سلبيّة لنتيجة نهائيّة مدارها النّهي عن الشرك الذي يؤدّي إلى عدم الهداية ومنها جهنّم، ما جعل مفهومها يندرج مفهومها ضمن ثنائيّة: حسن/قبيح.

ونلاحظ من خلال تصفّحنا لكتاب الله تعالى كثرة المعاني المنضويّة تحت ثنائيّة الاستحسان /الاستقباح ضمن تعبير (الهداية/وعدم الهداية) الدّالة على تقويم سلبيّ بالنّسبة للفعل "لا يهدي" أي يضلّ، وتقويم إيجابيّ بالنّسبة للفعل "يهدي" وصيغه "هدى، يهدي، المهتدين"، وهي مرتبطة في كلا

الحالتين بالصّفات الأخلاقيّة أو غير الأخلاقيّة المتعلّقة بالأشخاص والمفاهيم الموصوفة، فتتحسّن الموصوفات بصفات أخلاقيّة لدى السّامع، في حين تُستقبح موصوفات أخرى فينفر منها، لتنبني من خلال هذه الصّفات الأخلاقيّة وغير الأخلاقيّة وجهة نظره القائمة على فعل كلّ ما يرضي الله تعالى وتجنّب كلّ ما يغضبه على اعتبارأنّ« الملفوظ الأخلاقي توجيها للعمل Guide de l'action لا مجرّد تعبير عن انفعال أو دعوة إلى عمل شيء، فهو بذلك كلام إلزاميّ Langage prescriptif يُلزم بالعمل ولا يكتفي بالدّعوة إليه بواسطة التّرغيب والتّنفير.

أمّا التّقويم بالصّفات في مناظرة موسى عليه السّلام فقد تحلّى بحلّة تقويميّة بُنيت وِفق تدرّج سلّميّ للصّفات ومنه تدرّج سلّميّ للشّحنة الذّاتيّة التي اصطبغت بهذه الصّفات حيث امتدّت «من أقصى السّلب إلى الإيجاب أو العكس، وهي تُقابل بين طرفيْ الثّنائيّة (حسن/قبيح)، وتفعّل استراتيجيّة حجاجيّة للردّ على الخصم، لقد قابل تعالى بين متبّع الهدى والمكذّب والمتولّي من جهة وبين متّبع الهوى من جهة أخرى وهي مقابلة لها بعد حجاجيّ إذ تتضمّن بعدا عمليّا وقيمة لا قوليّة وهي الحثّ على اتّباع الهدى (أي إتيان الحسن) وتجنّب الكذب والتولّي واتّباع الهوى (أي تجنّب إتيان القبيح)»[30]، وهو ما يظهر في قول الله تعالى على لسان السّحرة بعد إيمانهم ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)**﴾ (سورة طه).

فضلا عن الصّفات، فإنّ بعض الأفعال تتميّز بحمولة ذاتيّة تزداد درجتها وتنقص حسب سياق الاستعمال وحسب الفعل ذاته، وتُنزل **أوروكيوني** الأفعال منزلة الصّفات من حيث قدرتها على حمل شحنات ذاتيّة، فالفعل "تمتّعت" مثلا يملك من الشّحنات الذّاتيّة ما لا يملكه الفعل "سافر" أو الفعل "رجع"، حيث تتباين درجة التمتّع من شخص إلى آخر فتزداد أو تنقص حسب أهواء النّفس، غير أنّ فعليْ السّفر والرّجوع يحملان دلالات تكاد تكون نفسها بين عدّة أشخاص فتعدّ الأفعال بهذا وسيلة من وسائل الإقناع والتّأثير ومنه التّوجيه من خلال التّنويع والتّلوين في أزمنة الأفعال وصيغها وسياق استعمالها، وسنحاول تبيان فاعليّة الأفعال في التّقويم بترتيب زمنها حسب تسلسل ورودها في المناظرة.

يتجلّى التّقويم بالأفعال الماضيّة في المناظرات تجلّيا واضحا على اختلاف معانيها وسياق ورودها، ومن بينها الفعل "**رأى**" الوارد في مناظرة نوح عليه السّلام مع قومه، وقد أدرجته الباحثة **أوروكيوني** ضمن الأفعال الذّاتيّة، فالفعل «"رأى" في هذا الجدال يحمل حمولة إدراكيّة ذاتيّة فهو يعكس تقويم القوم السّلبي لسيّدنا نوح، القائم على سلسلة من البناءات الإدراكيّة القبليّة»[31]، ثمّ إنّ الفعل "نرى" تقرّر ثلاث مرّات في هذه المناظرة على صيغة النّفي في قول الله تعالى على لسان قوم سيّدنا نوح عليه السّلام﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الذين كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الذين هُمْ أَرَاذِلُنَا**

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)﴾(سورة هود)، وهذه الأفعال جاءت كردّ تقويميّ سلبيّ على دعوى نوح عليه السّلام تضمّنت رفض القوم الاستجابة له واتّباعه.

5. خاتمة

نخلص في نهاية هذا المقال إلى جملة من النّتائج نذكر أهمّها:

– يمنح التّوجيه اليقيني الكلام صفة الحقيقة فيجعله مقنعا رغم اصطباغه بالذّاتيّة.

– يعمل التّوجيه التّقريبي على تحويل وِجهة الحجاج توجيها سلبيّا أو توجيها مزدوجا بين اليقين والشكّ.

– تتميّز موجّهات القول الإيجابيّة بتقويم أخلاقيّ متعلّق بأفعال المؤمن وأقواله فتتميّز بالحسن والإيجاب

– تتميّز موجّهات القول السلبيّة بتقويم غير أخلاقي متعلّق بالذّوات الرافضة للتّوحيد ممّا يجعلها تتميّز بالسّلبيّة والقبح وحاملة لقيم الجحود والتكبّر ورفض الحقّ.

– يعدّ "التّوجيه" بمختلف أنواعه وظيفة رئيسة في المناظرة القرآنيّة.

6. الهوامش:

[1]-Catherine Kerbrat-Orecchioni: L'énonciation: la subjectivité dans la langage, p113-119.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، الفارابي للنشر والتوزيع، تونس، 2007، ص363، نقلا عن:
Martin: Les univers de Croyance et la théorie Sémantique ; in Etudes linguistiques, Association Tunisienne de linguistique Volume 1, 1996 ; p38.

[3]- يُنظر: عبد الله صولة، مرجع سابق، ص 316.

[4]- المرجع نفسه، ص 317.

[5]-المرجع نفسه، ص 317.

[6]- سليمة مدلفاف، دراسة تداوليّة سيميائيّة لتصريف قصّة موسى عليه السّلام في القرآن الكريم، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2003، ص 257.

[7]- المرجع نفسه، ص 257.

[8]- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2003، ص303.

[9]- المرجع نفسه، ص231.

[10]- المرجع نفسه، ص957.

[11]- عائشة هديم، تداوليّة التّفاعل القولي في نماذج من القرآن الكريم، تقديم عمر بلخير، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، 2021، ص232.

[12]- عبد الله صولة، مرجع سابق، ص 316.

[13]- مصطفى العطّار، لغة التّخاطب الحجاجي –دراسة في آليات التّناظر عند ابن حزم-، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، الأردن، 2017، ص235.

[14]- يُنظر: المرجع نفسه، ص235.

[15]- يُنظر: قدّور عمران، البعد التّداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، الأردن، 2012، ص 169.

[16]- حكيمة بوقرومة، المتلقّي في الخطاب القرآني، دار المنتهى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، الجزائر، 2015، ص 52.

[17]- قدّور عمران، مرجع سابق، ص317.

[18]- يُنظر: المرجع نفسه، ص174.

[19]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، ج1، جامعة منّوبة، تونس، 2001، ص ص 140-139

[20]- الطاهر ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج7، ص112.

[21]- Catherine Kerbrat-Orecchioni, Ibid, p83.

[22]- Ibid, p101.

[23]- Ibid, p86.

[24]- الطّاهر ابن عاشور، مرجع سابق، ج3، ص34.

[25]- قدور عمران، مرجع سابق، ص 178.

[26]- Catherine Kerbrat-Orecchioni: Ibid, p85.

[27]-Ibid, pp 85-86.

[28]- عبد الله صولة، مرجع سابق، ج1، ص163.

[29]- المرجع نفسه، ص 163.

[30]- عائشة هديم، مرجع سّابق، ص 159.

[31]- المرجع نفسه، ص228.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

1. حكيمة بوقرومة، المتلقّي في الخطاب القرآني، دار المنتهى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، الجزائر، 2015
2. عائشة هديم، تداوليّة التّفاعل القولي في نماذج من القرآن الكريم، تقديم عمر بلخير، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، 2021
3. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، جامعة منّوبة، تونس، 2001،
4. عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2003

5. قدّور عمران، البعد التّداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، الأردن، 2012

6. مصطفى العطّار، لغة التّخاطب الحجاجي –دراسة في آليات التّناظر عند ابن حزم-، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، الأردن، 2017

ثانيا: المراجع باللغة الفرنسية:

1. Catherine Kerbrat-Orecchioni: L'énonciation: la subjectivité dans la langage
2. Martin: Les univers de Croyance et la théorie Sémantique; in Etudes linguistiques, Association Tunisienne de linguistique Volume 1, 1996

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1. سليمة مدلفاف، دراسة تداوليّة سيميائيّة لتصريف قصّة موسى عليه السّلام في القرآن الكريم، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2003